السياسة العربية في شهر

على أساس من حديد !

بقلم محمد النقاش

ابرز حدث تعميري وقع في هذا الشهر ، هو ابرام الاتفاق الاقتصادي بين سوريا والاتحاد السوفياتي ، ابرامه في دمشق ثم في موسكو . وفي الامكان اعتبار هذا الاتفاق اتفاقا نموذجيا للتعاون النزيه بين دولة كبرى تملك المال والوسائل الفنية ، وبين دولة صغيرة في حاجة الى تنمية مواردها وتطوير مجتمعها .

فالمشروعات الحيوية التي تناولها الاتفاق ، مشروعات سلمية في الدرجة الاولى . مشروعات مدنية اذا شئت ، ليس لها طابع حربي او عسكري : لا مطارات ،ولا قواعد بحرية ، ولا اوتوستراد ات ... وانما مشروعات لري وتوليد الكهرباء وبالتالي انعاش الزراعة والصناعة ، وانشاء سكك حديدية تسهل نقل المنتجات .

أما المساعدات السوفياتية ، فهي عبارة عن قروض بفائدة زهيدة ، تستوفى من المحصول السوري على مراحل ، كما تقدم على مراحل .

ولقد حرصت الدولتان على حصر الطابع الاقتصادي الصرف في هذا الاتفاق ، فلم يوقع عليه وزير الخارجية السورية او سفير الاتحاد السوفياتي في دمشق ، وانما اكتفي بتوقيع وزيري الاقتصاد والاشغال العامة من الجانب السوري ، وتوقيع رئيس بعثة الخبراء الروس من الجانب السوفياتي .

ومع ذلك ، ومع ان الاتفاق لم ينص على اية اهداف سياسية او عسكرية ، فمما لا شك فيه انه كان ذا مغزى سياسي . فلاول مرة ، تعقد دولة من دول الشرق الاوسط ـ المنطقة التي طالما اعتبرها الغرب غابة صيد له وحده ـ اتفاقا واسع النطاق مع موسكو ، وان لم ينص الاتفاق على ايةشروط ، فمن البديهي انه نتيجة تفاهم سياسي بين الدولتين . ومدار هذا التفاهم ، هو مقاومة الاستعمار بسائر اشكاله وألوانه ، بسائر ظواهره وبواطنه . والتفاهم على هذا المبدأ ، صفقةحرة تلقائية تتفق مع مصلحة البلدين ، وليس فيها غابن ومغبون . فالسوريون من جهتهم يأبون ان يربطوا انفسهم بعجلة الغرب ، على ما في هذه العجلة من شحنات كئيبة في طليعتها اسرائيل ... ولا يريدون ان تقام على ارضهم قواعد عسكرية يستخدمها معسكر ضد معسكر ... وهذا بالذات ما يصبو اليه السوفيات ، ولا يطلبون مزيدا عليه .

الحشد التركي

على ان الغربيين لم ينظروا في ارتياح الى الحدث الجديد ،وأدركوا على الفور ان قلعة من قلاعهم في العالم بدأت تنهار . فهم منذ سنوات، يحاولون ان يحصنوا هذه القلعة (الشرق الاوسط) ليجعلوا منها مركز دفاع او موثب هجوم في وجه روسيا . نادوا بالدفاع المشترك ، ثم عقدوا ميثاق بغداد ، واخيرا دعموه بمبدأ ايزنهاور ، من اجل هذه الغاية . لكن دولا عربية في طليعتها سوريا ومصر ، تنكرت لهذه المشروعات، الواحد تلو الاخر ، وتركت في الحزام الشمالي المكمل لحلف الاطلسي ، ثغرات ... ثم ذهبت سوريا الى ابعد من ذلك ، ففتحت الباب (ولو على الصعيد الاقتصادي) للاتحاد السوفياتي ... وآزرتها مصر ، كما آزرها الشعب العربي في كل مكان ، ولو مشت حكوماته مشيةمغايرة ... فقلق الغرب ـ ومن حقه ان يقلق اذا ظل متمسكا بعقليته الاستعمارية ـ بل استشاط غضبا ... وقرر الاقدام على خطوة من شأنها ان تعرقل ابرام الاتفاق السوري ـ السوفياتي ، ولو اقتضى الامر الاطاحة بالنظام السوري من اساسه ...

وتلفت الغرب في شخص اميركا ـ اذ هي التي تقود هذه المعركة ، وهي التي زعمت انها ملأت الفراغ الذي احدثه استبعاد الانكليز والفرنسيين من المنطقة ـ تلفتت اميركا نحو الدول العربية الموالية لها ، عساها تستخدمها في هجوم خاطف على سوريا ، في حرب عائلية لا تسمح لغريب بالتدخل ... لكن الحكومات الموالية للغرب ـ وهي تعرفعواطف شعوبها وجيوشها ـ افهمت الاميركان ان هذا مستحيل ... بل ذهبت هذه الحكومات الى ابعد من ذلك ، فأعلنت انها الى جانب سوريا لو وقع عليها اعتداء ...

ولم يبق في يد واشنطن الا اسرائيل وتركيا ، ولقد استبعدتاسرائيل منذ اللحظة الاولى ، لانها لم تنس عواقب الغلطة الشنيعة التي اقترفها حلفاؤها الانكليز والفرنسيون باستخدام اسرائيل مخلب قط ضد مصر... ولم يبق في الميدان الا تركيا .

وهكذا، كان هذا الحشد التركي على حدود سوريا الشمالية ، للقيام بعمل ما ضد دمشق ، عملا تخريبيا بالطبع . لكن ما هو هذا العمل على وجه التحديد ؟

ترى ، اكان الاتراك ، وقد حشدوا خمسين الفا من الجند ، بكامل طائراتهم ودباباتهم ، يدعمهم الاسطول الاميركي السادس عن كثب ـ اكانوا ينوون شن حرب صاعقة على سوريا ، تبلغ اهدافها سريعا ، فما يكون مجلس الامن اجتمع وقرر انسحاب المعتدين ، الا ويكون هؤلاء قد اودوا بالنظام السوري القائم ، ومكنوا لحكومة من الاذناب ؟ ام كانوا ينوون الاكتفاء بخلق جو من التوتر في قلب سوريا ، قد يحدث انقساما او ثغرة في النظام القائم ، يتسرب منها المعارضون ؟ أكانوا يعتزمون الهجوموفسح المجال امام الجيوش العربية الموالية لهم ولاميركا ان تدخل سوريا ـبحجة الهروع لنجدتها ـ وبعد سحق زهرة الجيش السوري ، تتولى هذه الجيوش العربية الموالية ترتيب الامور ؟

ليس من مراقب استطاع الجزم ... لكن الحشد تم ، وهو لا يزال موجودا . ولم ينطل على احد ، أنه جزء من مناورات لا تنتهي ... ولا أنه تدبير داخلي ... ولا انه تحسب لهجوم سوري ...

المهم أن هذا الحشد لم يحقق أي غرض من اغراضه المفترضة ، فقد اخذت سوريا الامر بجد وحشدت قواها المسلحة وسلحت المقاومة الشعبية. وجاء فيلق مصري ، يثبت للعالم ـ بأبلغ طريقة عملية ـ ان مصر مع سوريا الى غير حد ، كما قال الرئيس عبد الناصر ... والتف الشعب السوري حول حكومته بشكل لم يسبق له مثيل ، بدلا من ان يفرق صفوفه الذعر كما توهموا ... وافتر ثغر الاتحاد السوفياتي عن ناب

محدد ...

وحملت سوريا شكواها الى الامم المتحدة ... وآزرتها شعوب آسيا وافريقيا جميعا ... كل ذلك ادى الى بقاء الحشد التركي حشدا أشل.. والى ابرام الاتفاق الاقتصادي السوري ـ السوفياتي في البرلمان السوري بالاجماع ! نعم ، من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، بالاجماع ...

وبدا النظام السوري القائم ـ وقد تعزز خلال هذه الفترة بانتخاب الزعيم البعثي اكرم الحوراني رئيسا لمجلس النواب ـ انه اقوى وأمنع من اي وقت مضى !

أتدبير وقائي ؟..

على أن الحشد التركي لم ينحسر ، بل ان الانباء ـ عند كتابة هذه السطور ـ كانت ترد عن تحركات وتجمعات تركية جديدة ، والاسطول السادس لم يكف عن عرض عضلاته على مقربة من الشواطىء السورية والتركية . ولعل الاميركيين والاتراك بعد ان خسروا الجولة الاولى،بدلوا خططهم بعض الشيء ، وراحوا يرمون الان الى حصر العلة ـ العلة في نظرهم ـ سوريا ، فلا يكون الانتصار السوري مدعاة لعدوى تمتد الى بقية الاقطار العربية ، حيث الشعور الشعبي مؤات لمثل هذا التحول ، ويبقى الحشد التركي بمثابة تطمين للحكومات العربية الموالية للغرب ، يشد ازرها ما امكن ، ويجمد ما يسمونه « التغلغل السوفياتي » في البقعة السورية ، الى ان يفتح الله عليهم بجديد .

وفي اعتقادنا ان هذه الخطة لا تخلو من خطر . فبقاء الحالة متوترة على الحدود السورية ـ التركية خطر على السلم في المنطقة ، وفي العالم كله ، اذ لا يدري احد متى يتطاير الشرر تحت ضغط الاحتكاك . فاقل حماقة ، وأقل غلطة ، من هذا الجانب او ذاك ، كفيلة باشعال النار .

هناك خطة افضل

ويلوح لنا أن الغرب ، يحاول في الوقت نفسه ، تنفيذ خطة اخرى ، تقوم على تحسين العلاقات بينه وبين سوريا ومصر . ومن بوادر هذه الخطة تصريحات وكيلي الخارجية في اميركا وبريطانيا ، والمفاوضات المالية بين مصر من جهة ، وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية ، وزيارة المستر بلاك مدير البنك الدولي للقاهرة واجتماعه بالرئيس عبد الناصر تسعين دقيقة . ومع ان مدير البنك اكد أن زيارته انحصرت في شكلية التعويض على حملة اسهم شركة السويس المنحلة ، فان المعلقين ارتابوا في ان يكون حديث الاسهم ـ وحده ـ استغرق تسعين دقيقة ... وألمعوا الى السد العالي .

ولا ريب أن سياسة التقارب افيد للجميع ، وأجدى من القعقعة بالسلاح . فسوريا ومصر اللتان تعبران اليوم عن السياسة العربية بأصدق ما تنطوي عليه من اماني واتجاهات ، لا يخطر لهما في بال ، اثارة فريق على فريق ، ولا نصرة معسكر على معسكر ، الا بقدر ما يتجاوب هذا المعسكر او ذاك مع امانيهما المشروعة في حياة عزيزة حرة فوق ارض الوطن . والعرب سيكونون اسعد الناس حظا لو التقى الشرق والغرب على عرفان هذه الاماني المشروعة . وليس احسن اليهم من أن يتعاونوا مع المعسكرين ، وأن يكونوا رسل سلام بينهما ، وأداة تفاهم . وهذا امر ميسور اذا ما كف الغربيون عن اعتبارنا منطقة نفوذ لهم ، او اتهامنا بأننا نود ان نكون منطقة نفوذ لسواهم ...

صدر حديثا :

رسالة الوداع

بقلم الدبلوماسي الاديب الاستاذ

محمد فتح الله

كيف يفكر ابناء اليوم وابناء الغد ـ وبمَ يفكرون وبمَ يتحسسون ـ هواجس النشء الحاضر والاجيال الطالعة ومشاغلهم ـ النزاع القديم بين الطبع والتطبع ـ العقل والغريزة، الانوثة والذكورة، الحس والوجدان ـ دراما مثيرة ـ تحليل عميق ـ علم تاريخ ـ فكر ـ اجتماع ـ واقع

الثمن ٢٥٠ ق. ل. يباع في كافة المكتبات

توزيع المكتب التجاري ـ بيروت

وائع المسرح العالمي

سلسلة كتب تنتظم اروع المسرحيات العالمية واشهرها وتتناول من القضايا ما يهم كل مثقف عربي
(يشرف على ترجمتها الدكتور سهيل ادريس)

صدر منها

١	الايدي القذرة (نفدت)	تأليف	جان بول سارتر
٢	بستان الكرز	«	انطوان تشيخوف
٣	الحقيقة ماتت	«	عمانوئيل روبلس
٤	كانديدا	«	برناردشو
٥	الافواه اللامجدية	«	سيمون دوبوفوار
٦	البلور المحرق	«	تشارلز مورغان
٧	ثمن الحرية	«	عمانوئيل روبلس
٨	العادلون	«	البير كامو
	موتى بلا قبور	«	جان بول سارتر

تطلب هذه السلسلة من

دار العلم للملايين
ودار الآداب ـ بيروت

«الآداب» تقدم في مطلع السنة الجديدة ١٩٥٨

عدداً ممتازاً ضخماً تفتتح به عامها السادس

في موضوع الساعة :

الأدب والقومية العربية

يشارك في تحريره كبار كتاب العالم العربي من الشيوخ والشباب ويعالجون موضوعات القصة والشعر والنقد والدراسة وعلاقاتها بالقومية العربية

سجل ضخم لاعمال مؤتمر الادباء العرب الثالث الذي يعقد في الشهر القادم بالقاهرة

حيث يخطىء الغربيون

بديهي أن العودة الى تبادل السفراء مثلا بين الولايات المتحدة وسوريا، وامكان عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وسوريا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية ، يخففان من حدة التوتر في المنطقة ، لكنهما لا يقضيان عليه .

كما أن المساعدات الاقتصادية ليست كفيلة ـ مهما كانت سخية ـ بحمل العرب على استلطاف الغرب .

الشيء الجذري الذي يضمن عودة الطمأنينة والسلام الى هذه المنطقة الحساسة في سلام العالم اجمع ، هو عدة اشياء :

أ ـ اقتناع الغرب اقتناعا لا تشوبه شائبة ، أن العرب استيقظوا ، وصمموا تصميما لا جدال فيه ، على ان يعيشوا احرارا في بلادهم ، وأن نوعا من الاتحاد هو هدفهم القومي الذي لن يحيدوا عنه .

٢ ـ ان العناصر العتيقة والرجعية ، لم تعد صالحة لان تكون نقطة ارتكاز لاحد ، فالقوى التحررية التقدمية تجتاح الوطن العربي من اقصاه الى اقصاه ، وهذه القوى وحدها هي التي تقرر مصير هذا الوطن .

٣ ـ أن العرب ليسوا مستعدين بأي شكل كان ، وتحت أي ظرف كان، أن يعادوا الاتحاد السوفياتي وحلفاءه . بل هم على العكس يودون ان ينموا صداقتهم معه ، ومع سائر دول الارض ، ما دامت هذه الدول تعترف بحقوقهم المشروعة . وهم مستعدون لان يمدوا يدهم الى الغرب بكل ابتهاج على هذا الاساس نفسه .

وبكلام آخر ، ان الشعب العربي لن يقبل ان يكون وقودا في معركة غربية ضد الشرق ، ولا ان يجعل من ارضه موائب وقواعد لها ، حتى تحت ستار الدفاع .

٤ ـ ان يتخلى الغرب دفعة واحدة ، ودون تحفظ ، عن عقليته الاستعمارية ، وأساليبه الماضية ، في اقتناص الشعوب ، واستغلالها . وأن يقبل ـ على الصعيد السياسي والاقتصادي ـ مبدأ المساواة التامة في تعامل حر لخير الفريقين معا .

٥ ـ ان يعود عن سياسته المغرضة نحو اسرائيل ، وينتهج سبيل الحق والعدل في حل القضية الفلسطينية ، وفي قضية الجزائر ، وفي قضية عمان ، وكل قضية تباعد بينه وبين العرب ، وتؤلف موطن خلاف مرير .

٦ ـ ان يقتنع الغرب بأن مثل هذه السياسة الحكيمة ، هي وحدها التي تقوي الجسم العربي ، وتزوده بأفضل مناعة ضد ما يسمونه المبادىء الهدامة . فحين يطمئن العرب الى مصيرهم القومي والكياني ، وتصبح ارضهم واحة سلام ، لا جزيرة نزاع بين القوى الكبرى ، ينصرفون الى بناء مجتمعهم ، بوحي من عقائدهم ومبادئهم وحدها . اما اذا استمرت هذه الارض جزيرة نزاع بين الاستعمار والشيوعية ، فاغلب الظن أن الكلمة الاخيرة ـ شئنا ام ابينا ـ ستكون للشيوعية .

الاردن مثل صارخ

لقد اخفقت سياسة الاسترضاء ، وسياسة الضغط ، وسياسة التآمر، وسياسة العدوان المسلح في مصر وسوريا . وخرج نظام الحكم في البلدين من التجارب اقوى مما كان . ومصر وسوريا ، بموقعهما ونسبة تطورهما وعدد سكانهما ، هما دون شك مركز الثقل في الشرق العربي .

وقد يخيل للغرب أنه نجح في الاردن ، على اساس سياسته البالية. لكنه سيستيقظ على الواقع ، وفي وقت اقرب مما يتصور . فالشعب الاردني على بكرة ابيه ، ساخط على سياسة الملك وحكومته . وسواء تفاوضت حكومة عمان مع اسرائيل أم لم تتفاوض ، فالنقمة عليها عامة

شاملة . وليس المرء محتاجا لان يسمع القاهرة او صوت العرب ليتثبت من هذا . فالبلاغات الاردنية نفسها تكفي .

ان السفير الاميركي في عمان ، لا يستطيع بوجه من الوجوه ، أن يدعي الانتصار . فالحكم الذي جاء به ، على انقاض الحكم الوطني المتحرر ، هو آية الايات في الفشل . فمنذ ستة اشهر ، والاحكام العرفية قائمة ، والجيش بزعامة قادة من البدو ، يرابط في الساحات والشوارع بملابس الميدان . ونظام منع التجول يستمر استمرار الليل والنهار . والبرلمان معطل عمليا ، باستقالة فريق من اعضائه وغياب الاخر . والحكومة لا تجرؤ على انتخابات فرعية . والحريات ، حرية القول والكتابة والاجتماع ، معطلة تعطيلا تاما . والصحف الاردنية تصدر تحت الوعيد والتهديد ، والسفر الى الخارج ممنوع ، الا بترخيص خاص . وليس من زعيم او شبه زعيم له وزنه ، الا في السجن او المنفى او هو فارض على نفسه السكوت ...

مثل هذا النظام الذي يذكر بأظلم عهود التاريخ في الارهاق والارهاب، لا يعد نصرا للمبادىء الحرة ، ولزعيمة العالم الحر ... بل هو ادهى من الاخفاق ، وأمر من الهزيمة ...

ان الشعب الاردني الباسل لم يستطع ابتلاع ملايين ايزنهاور ، ولا هضم سمير الرفاعي وفلاح المدادحة ... وفوقهما المستر مالوري سفير اميركا في عمان . وعبثا عالجوه بالمقبلات والمتبهات والمخدرات ... لقد ظل مقفلا فمه ، يصر بأسنانه ... ولا مفر لهم من ان يروه يتقيأ في وجوههم ذات يوم ، ويكشر عن نابه .. ويحطم على رؤوسهم الهيكل القراقوزي الذي شيدوه له ..

جديد في حلوان

الى جانب هذا الهيكل المتداعي ، ينتصب هيكل جبار في مصر ، هيكل ثابت الاركان .

لقد ابتهجت وأنا اسمع انباء تكوين « الاتحاد القومي » الحزب الواحد الذي سيتولى النهوض بمصر بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، وبناء مجتمع مصري على اساس اشتراكي . ابتهجت كثيرا بالاشتراكية تصبح أساسا للمجتمع العربي ، لكن اغتباطي كان أشد وأعظم ، حين سمعت ان اول فرن كهربائي لصهر الحديد ، دار دولابه في حلوان ...

صهر الحديد عندي هو اساس حضارة العصور الحديثة . فالشعب الذي يصهر الحديد ، يرتفع من مرتبة الطفيليات الى مرتبة العاملين والقادة . وقد صهرنا الحديد في مصر ...

ذات يوم ، كنا نطير فرحا عندما نسمع بانشاء معمل للكرتون ، مصنع للبسكويت ... واليوم ، صهرنا الحديد في حلوان ...

تمنيت لو كنت شاعرا : فأنظم اجمل قصيدة في هذا الحدث التاريخي، في مصنع حلوان لصهر الحديد ...

أي لانتاج الزم وأهم ما يحتاجه الانسان في حياته العصرية ، ايام السلم وايام الحرب على السواء .

ان عبد الناصر ، يقيم نهضة مصر ، نهضة الوطن العربي الجديد ، على أسس من حديد !

محمد النقاش

صدر اليوم القسم الأول
من السفر الخالد

فتوح البلدان

للبلاذري

اكبر واعظم موسوعة في التاريخ العربي الاسلامي
تصدر في خمسة اجزاء متتالية عن دار النشر للجامعيين

حققها وشرحها وعلق على حواشيها :

عبد الله أنيس الطباع
مجاز في الدراسات الشرقية
خريج معهد المكتبات والمحفوظات في مدريد

عمر أنيس الطباع
ليسانسيه في الآداب
حائز على شهادة الكفاءة في التربية والتعليم

اطلب الآن

العدد الأول
من أرقى وأفخم سلسلة
شهرية

الكتاب الفضي

رئيس التحرير
يوسف السباعي

لا تدع عددا
يفوتك من اعداد
هذه السلسلة
القصصية

البحث عن جمسر

الثمن
١٠٠ ق . ك . س .

نشر وتوزيع :
الشركة العربية بالقاهرة و المكتب التجاري ببيروت